

الخميس 22-09-2011

1483- في شريف صبحية نجيب محفوظ.



قراءة: في كراسات التدريب (نجيب محفوظ)

ملاحج الدراسة الشاملة

تجارب في المنهج

مقدمة:

يبدو أن الشعور الذي أعلنته الأسبوع الماضي، وهو أنني على وشك أن أتوقف، كان مفيداً جداً، فقد فتح لي باب النظر الباكر في بعض تفاصيل المنهج الذي سوف تسير فيه هذه الدراسة، وخاصة حين ننتقل إلى الدراسة الشاملة، والتي أخت إليها سابقاً.

بداية: لا بد أن اعترف أن علاقتي بالدراسة الشاملة ما زالت علاقة فاترة، مقارنة بجماسي وحي للدراسة "الواحدة واحدة"، التي اسميتها "تشرجية"، ربما لأن قراءة اللوحات واحدة واحدة هي الطبيعة الأقرب للفن التشكيلي ونقده. وهذه المادة التي بين أيدينا الآن هي لوحات تشكيلية أكثر منها محتوى منظم لعمل إبداعي مقصود لما به، وهذا أدعى أن نكتفي بأن نقرأ كل لوحة مستقلة ابتداءً، بل إنني الآن أتبين أن قراءتي لأصداء السيرة الذاتية كانت أيضاً قراءة نقدية للوحات تشكيلية كل لوحة تحمل رسالة قائمة بذاتها وإن كانت غير مستقلة عن الفكرة المحورية لكاتبها، ولا عن بقية محتوى المتحف الجميل.

حين بدأت الدراسة الشاملة للأصداء، بعد أن انتهيت من الدراسة التشرجية، كتبت الفصل الأول بعنوان: "الطفولة نبض دائم"، ثم توقفت، وربما شعرت آنذاك أنني لن أكمل هذه

الدراسات مع أنني سجلت عناصرها، فسارعت بنشر الفصل الأول بعد نهاية الدراسة التشريحية دون انتظار أن تصدر مع بقيتها ربما باعتباره عينة لما سوف يأتي بعده مما أوردت من عناصر وعناوين الدراسة التشريحية بعد الفصل الأول: "الطفولة نبض دائم" مثل: (2) الجنس، والجسد، والحس، واللذة (3) الحب والصدقة والعلاقة بالموضوع (4) الصمت، والنداء (النداهة) والخلاء، والكهف (5) الغيب، والامتداد، والكون، والمجهول (6) السعي، والحركة (7) الذاكرة، واستحضار الوعي (8) الله والوجود (الدين، والإيمان) (9) العمر والشيخوخة والموت والخلود (10) التناهي، واللحظة، والنبضة، والأهمسة (11) البعث، والولادة، لكنني لم أرجع إلى إكمال ما بدأت حتى الآن، ولا أدري متى أرجع.

لعل هذا هو اتجاه ما حدث أيضا في دراستي النقدية **لأحلام** "فترة النقاهاة" فقد قمت بقراءة الأحلام واحدا واحدا حتى الحلم رقم (53) **(نشرة 8-5-2008 تقاسيم على لوحات الأحلام،** ثم اكملت بمنهج آخر هو استلهام النص بما سميته تقاسيم، وحين هممت أن أعود لأجرب ولو فصلا واحدا من القراءة الشاملة لكل الأحلام كما وعدت في المقدمة، لم أستطع، ربما لأنه اختلط عليّ أن أفصل بسهولة بين الحلم الأصل وبين محاولاتي اللاحقة عليه تحت عنوان التقاسيم.

التجربة هنا في قراءة لكراسات التدريب فيها شبه مبدئي، وفيها اختلافات بلا حصر عن كل من التجريبتين السابقتين وأستطيع أن أعدد بعض ملامح طبيعتها بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة كما يلي:

أولاً: المادة هنا تلقائية (المتن!) (ولا أحب أن أصفها بأنها عشوائية).

ثانياً: هي مادة مترامية غزيرة (قلت إنها تناهز الألف صفحة).

ثالثاً: هذا يجعل التكرار وارد، وإن كنت حتى الآن لم أشعر أنه تكرار بمعنى مجرد الإعادة، فقد عشت كل صفحة - حتى الآن - باعتبار كل كلمة فيها جديدة، حتى لو كانت اسم نجيب محفوظ (لا توقيعه) أو اسم كريمته أو حتى "بسم الله الرحمن الرحيم"، وبصراحة أنا لا أجد تفسيراً سهلاً لشعوري هذا حتى الآن فمازلنا في صفحة (37) من ألف صفحة تقريبا.

رابعاً: ربما يرجع شعوري الشخصي هذا الذي أنكّر التكرار مهما تكررت نفس الألفاظ إلى أنني عايشت عملية كتابة هذه التدريبات شخصيا يوميا، على الأقل على مدى الشهور الأولى من التدريب.

خامساً: إن السياق الذي ترد فيه الكلمة المكررة سواء في موقعها في الصفحة، أو ترتيبها على وجه الصفحة، أو طبيعة ما يرد قبلها أو بعدها يصلني متداخلا مع كتلة الوعي الذي سميته "جبل الوعي" **(نشرة 28-7-2011 قراءة في صفحة 30)**

وهو الذى تطفو على سطحه هذه الكلمات في سياقها المتميز المختلف مهما تكرر.

سادساً: إن الاستلهام الذى يهضرن من المكرر، أو من السياق، وكذلك التدايعات فالاستطراد وهما بعض ما تثيره في هذه الكلمات (المكررة) يختلف من صفحة إلى صفحة، ومن ذكرى إلى ذكرى ومن حالة وجدانية إلى أخرى، فيختلف التلقى، وينتفى التكرار.

تجربة منهجية (سوف أرجع عنها غالباً):

وعدت الخميس الماضى في نهاية الحلقة أن انطلق مما جاء في صفحة التدريب رقم "37" عن "الصبر" أكمل به ما اقتطفته مما سبق كتابته استلهاهما من ورود نفس الكلمة "الصبر" في الست وثلاثين صفحة السابقة، وتحديدًا، صفحات (1، 2، 3، 32)، وكنت أنوى أن اكتفى بما سيرد بعد ذلك ولو بالنظر في عدد مماثل من صفحات التدريب، وقلت تكفى ثلاثون صفحة أخرى حتى أتمكن من المقارنة المبدئية، لكنني وجدت أن هذا ليس كافياً اختصاراً تجريبياً للمنهج، ثم انفتحت شهية طمعى، وقلت أبحث عن كل ما جاء عن الصبر في الألف صفحة معاً، لكنني تراجعته بإصرار حيث شعرت أن عليّ أن أقرأ صفحة صفحة أولاً كما فعلت في الـ 36 صفحة السابقة قبل أن أسارع بالنظر في مجرد ورود الكلمة وتكرار ورودها كما ذكرت حالاً، ذلك لأنني انتبهت إلى ما كنت أحذر منه منذ البداية وهو أنه شتان - مثلاً - بين ورود كلمة الصبر في "أراك عصى الدمع شيمتك الصبر"، **(نشرة 2011-6-30 قراءة في صفحة 27)** حيث تحضرنا أم كلثوم كل مرة بطريقة متجددة نادرة، وهي تترن بكلمات أبي فراس الحمداني، وبين ورود الصبر في تعبير "الصبر من الإيمان" (فقط)، ومثال آخر: شتان بين كتابة قول شائع مثل: "الصبر مفتاح الفرج"، وبين تعبير جديد تماماً يقول: "الصبر طيب وهجمل"، وقد ناقشت من البداية في قراءتي (ص2) **(نشرة 2009-12-31 قراءة في صفحة 2)** كيف يكون الصبر هجيلاً، واقتطفت بعض ذلك الأسبوع الماضى، وحين واجهت هذه الصعوبة وغيرها، قلت أكتفى حالاً بربع الصفحات (250 صفحة تقريباً) كعينة، وإذا بي أفاجأ بكم متنوع أورد مسودته في الجدول التالى:

عدددها	صفحة	كلمة (الصبر)
7	-110 -99 -95 -92 -37 172 -144	الصبر طيب
1	103	مرارة الصبر
9	-100 -92 -52-13 -2 172 -157-148 -144	الصبر هجمل
1	171	الصبر هجمل وطيّب
1	103	الصبر طيب وهجمل
7	-151 -127 -63 -51-27 187 -166	شيمتك الصبر
2	160 -157	الصبر مفتاح الفرج
1	195	الصبر مع الصابرين

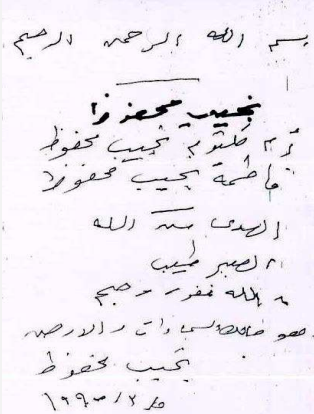
1	32	الصبر من الإيمان
1	226	الصبر عذب
2	245 - 236	الصبر (فقط)
1	1	الله مع الصابرين
1	52	إن الله مع الصابرين
1	154	إصر إن الله مع الصابرين
1	238	الصبر جميل، جميل الصبر
1	147	اللهم صبرك

هكذا رفضت بشكل حاسم أن يكون مجرد تواتر تكرار لفظ معين أكثر من غيره له أولوية في الدلالة تسمح لي أن أنطلق في قراءتي لتجليات الأستاذ التلقائية في التدريب في الدراسة الشاملة كما بدأتها .

إلى هنا وانتهت الاستطاعة المنهجية الطويلة نسبيا وقد أوقفناها حسماً مؤجلاً تناول الصبر في كل التدريبات إلى الدراسة الشاملة (الألف صفحة) داعياً الله تعالى ألا تلحق بسابقتها (الدراسة الشاملة لكل من أصداء السيرة وأحلام النقاها).

إن كان في العمر بقية .
ثم نعود إلى الصفحة (37)

ص 37 من الكراسة الأولى (أسجلها مرة ثانية)



بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

أم كلثوم نجيب محفوظ

فاطمة نجيب محفوظ

الهدى من الله

الصبر طيب

الله غفور رحيم

هو مالك السماوات والارض

نجيب محفوظ

1995/3/5

القراءة :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى سبق قراءة كيف يكون الهدى من الله ثم اقتطعت كما جاء في المقدمة، ما ورد في صفحات 1، 2، 13، 32، وأخيرا أنهيت النشرة بوعود أن أعود إلى ما حضرنى من البحث عن ورود الصبر وتجلياته في القرآن الكريم، وقلت بالخرف:

"... وإذا بي أمام بحر من المعرفة حول تشكيلات الصبر وتنويعاته وتجلياته"، وكنت أعنى تحديدا ما ورد في القرآن الكريم، كما أخت أيضا إلى مثل ذلك بالنسبة لما كتبه الأستاذ في نفس الصفحة "مالك السماوات والأرض" ووعدت بالعودة إلى كل ذلك.

وحين هممت اليوم بالوفاء بوعدى خفت أن يختلط الأمر على المتلقى ويتصور أى احتمال للمقارنة، وأيضا وجدت أن الاستطرادات والاستلهامات من قرآننا الكريم تحتاج لمساحة أكبر واستقلال متميز ووقت كاف. ففضلت التأجيل.

ملاحظة ختامية (اليوم)

حين رحلت أتصفح قراءة لست وثلاثين صفحة السابقة، وجدت أن كثيرا منها يستلهم القرآن الكريم بمجرد أن يرد ذكر الله عز وجل في تدريبات الأستاذ أو ذكر آية كريمة أو حتى ذكر جزء منها، كما أنني لاحظت أيضا كيف يبدأ الأستاذ كل تدريباته تقريبا (لست متأكدا) باسم الله الرحمن الرحيم، مرة أو أكثر، وأحيانا تسبقها الاستعاذة "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" (مثل صفحة 46 & 47 & 81 أو ... أو إلى .. 140 & 161)

وقد خطر لي - دون جزم - أن ما سميت به جبل الوعى الذى يكمن تحت ألفاظ كل صفحة من صفحات التدريب له علاقة بشكل أو بآخر بريج هذا المصدر الأساسى - القرآن الكريم - مع أننى لم ينم إلى علمى تحديدا أن شيخى قد حفظ القرآن طفلا، كما أننى لا أعلم تفاصيل علاقته به مبدعا وعابدا، وإن كنت أرجح إيجابية وتواصل معه بلا حدود،

وقد سبق أن ناقشت ما وصلنى منه مباشرة بعيدا عن مجرد ورود آية كريمة هنا أو جزء من آية كريمة أخرى هناك في تدريباته حين كنت أحدث أساسا عن ما وصلنى من علاقة شيخنا بالله عزوجل واعتراض بعض الأصدقاء على أننى أقوله ما لم يقله في هذا الصدد بما أراه فيه مما هو ليس الحقيقة من وجهة نظرهم.

أختم هذه الملاحظة بأن أنبه بوضوح أن لمحات الأستاذ في التدريب هكذا قد سجت لي أن أتعرف من جديد على كتابى الكريم من زوايا لم أعتدها، وهذا فضل آخر من أفضال شيخنا المتجددة.

شكرا يا شيخى الجليل واسمح لى أن أهب بعض ثواب ذلك إلى حسابك وإن كنت أعرف أنني أحوج ما أكون إلى هبتك لى ودعواتك، كما أعلم أنه: "قَدْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جُنَّا بِمِثْلِهِ مِدَاداً"

الحمد لله

وإلى الأسبوع القادم مع نفس الصفحة، (الاستطراد إلى الصبر في القرآن الكريم).

- نشره رقم (881) بتاريخ 28-1-2010 ، نشره رقم (1469) بتاريخ 8-9-2011، وربما أيضا علاقة الأستاذ وثيقته برحمة ربنا غير المحدودة (نشرة 28 -7- 2011 - العدد 1427 قراءة في صفحة 30)